المحاضرة الرابعة :

الأمثـــــال والحـــــكم

أولا : المثل :

1- تعريف المثل :

أ- لغة : يعني الشبه والنظير.

ب- اصطلاحا: "المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول" ، ويقال على سبيل الاحتجاج أو النصح أو الاتعاظ ، أو التحذير .

ونجد تعريفا آخر للمثل :" هو تشبيه حادثة بحادثة باستعمال تركيب لغوي يربط المضرب (الحاضر) بالمورد (الماضي) ليماثله ، ويهدف للتعبير عن غرض ما من خلاله "

2- خصائص المثل :

- الشبه بين الحال الأولى والثانية .

- السيرورة والاشتهار (قول سائر ومتداول)

- وسيلة توصيل يتضمن الإجماع عليه كأداة تعبيرية عن أشياء لا يعبر عنها بشكل مباشر إلا بصعوبة بالغة .

- لا تتغير في لفظها ولا يطرأ عليها تغيير في أي حال من أحوال استعماله

- قد تتضمن ضرورات أجازوها ، مثل:

(مكره أخاك لا بطل) الأصل والصواب هنا هو (مكره أخوك لا بطل).

(سواه لواه) – مثل يضرب للنساء الغافلات اللاهيات عن الأمور الخطيرة - يتضمن محذوفا تقديره (هن سواه لواه)

3- المضرب والمورد : لكل مثل مورد ومضرب ، فالمورد هو الحال الأصلية التي ورد فيها الكلام وقيل فيها المثل لأول مرة . أما المضرب : فهو الحادثة الحاضرة التي أشبهت الحادثة الماضية

(المورد)، واستدعت المثل السابق.

فالمثل إذا :" أن تحصل حالة لها شبه بالحالة التي صدر فيها ذلك القول (المثل) فيستحضر المتكلم تلك الحالة التي صدر فيها القول ، ويشبه بها الحالة التي عرضت وينطق بالقول الذي كان صدر في أثناء الحالة المشبه بها ليذكر السامع بتلك الحالة "

من نماذج ذلك :

(مالي إلا ذنب صحر) مثل يضرب لمن يعاقب ولا ذنب له ،وهي فتاة لطمت لطمة فماتت على إثرها دون ذنب أذنبته .

(أبخل من مادر) مثل يضرب في البخل وذلك أن مادرا كان رجلا مشهورا في الجاهلية ببخله وشحه ، حتى إنه سقى إبله من موضع الماء ، فلما أنهى شأنه تعمد أن يملأ ذلك الماء بالقاذورات والفضلات بخلا أن يشرب غيره من ذلك الماء .

(نفس عصام سودت عصاما) مثل يضرب لمن يفخر بنفسه من غير أحسابه أو عشيرته ، ولهذا يقال لمن يبني مجده بنفسه معتمدا على ذاته إنه " عصامي " أي غير متكل على أمجاد الآباء والأجداد ، والمثل هو شطر من بيت شعري ، وأصل هذا المثل - أن حاجبًا للنعمان بن المنذر " ملك الحِيرة "واسمه" عصام بن شهر "بلغت به هِمَّته أن نال ذُرا المجد، وتربَّع على عرش الفصاحة والبلاغة، وعُدَّ من أعلام العرب أيام الجاهلية، حتى قال فيه النابغة الذبياني صاحب المعلقة الشهيرة:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالإِقْدَاما

وَصَيَّرَتْهُ مَلِكـــــــــا هُمَامَا حَتَّى عَلاَ وَجَاوَزَ الأَقْوَامَا

4- <u>بلاغة المثل :</u> تتضمن الأمثال كثيرا من ألوان الجمال البلاغي في صياغتها وإنشائها وسبب ذلك يرجع إلى انتقاء ألفاظها،وحسن صوغها وما تعتمد عليه من تصوير رائع وتشبيه جميل وكناية وغير ذلك من فنون البيان والبلاغة ،وقد صرح الباحث عبد المجيد قطامش في كتابه : الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية أن:" المثل من أساليب الاستعارة التمثيلية التي أساسها تشبيه حالة بحالة ، أو هيئة بهيئة، وهذه الاستعارة من أقوى أساليب البيان وأعلاها كعبا في البلاغة لأنها تجسد المعاني المعقولة وتشخصها في صورة حسية تزخر بالحركة والألوان والحياة "

وقد تنبه القدماء إلى هذه الخواص اللغوية المتوفرة في المثل ،وفي هذا يذكر أبو هلال العسكري:" ولما عرفت العرب أن الامثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل الأساليب

أخرجوها في اقواها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها ، فهي من أجل الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها وكثرة معانيها ،ومن عجائبها أنها على إيجازها تعمل عمل الإطناب ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب "

أما ابراهيم النظام فيقول :" تجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه وجودة الكتابة "

فمظاهر البلاغة في المثل تتجسد في عدد من الظواهر البلاغية الفنية أهمها :

- ✓ الإيجاز : لكون المثل يطوي كثيرا من التفاصيل ، ويثير على قلة كلماته أحداثا ووقائع تاريخية متعددة (جزاء سنمار – مواعيد عرقوب) .
- ✓ إصابة المعنى :إذ يتسم المثل بالصدق والواقعية ،ولولا ذلك ما تقاها الناس بالقبول والاستحسان واستشهدوا بها في كلامهم ،وأصبح لها من القداسة ما رفعها إلى مرتبة القانون .(الصبر حيلة من لا حيلة له – من أشبه أباه فما ظلم –كل ذات بعل ستئيم)
- ✓ المحسنات اللفظية: من سجع وجناس ومقابلة وازدواج وطباق فهي تشيع في أمثال الشعراء بكثرة ، ولا تخلو منها باقي الأمثال على غرار : رب ساع لقاعد –إذا عز أخوك فهن –
- ✓ - الخيال والتصوير الفني : تتوفر في أمثال العرب ألوان كثيرة من التعبير المجازي وضروب من الصنعة الفنية وهذه من أسباب القوة والجمال الفني ، ومن نماذجه :

أ- التشبيه: أجود من حاتم –أبلغ من قس حيث يسهم التشبيه في تقريب المعنى وتوضيحه للسامع.

ب- الكناية : لبس له جلد النمر (كناية عن إظهار العداوة) حتى يشيب الغراب (كناية عن استحالة حدوث الأمر) جار كجار أبي دؤاد (كناية عن حسن الجوار)

وخلاصة القول حول الأمثال هو ما ذكره شوقي ضيف في كتابه الفن ومذاهبه :" ومن يمعن النظر في الأمثال الجاهلية يجد طائفة منها تتوفر لها ضروب من القيم التصويرية والموسيقية ، ففيها أحيانا تشبيه واستعارة ، وكناية وتمثيل، وفيها احيانا صقل وسجع وتنميق "

ثانيا : الحكمة :

للحكمة عند العرب أهمية كبرى وتقدير واسع عظيم فقد ورد في جمهرة خطب العرب :" وأما حكمة ألسنتهم فإن الله أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم الأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات "

معنى الحِكْمَة لغةً:

الحَكَمَةُ: ما أحاط بحَنَكَي الفرس، سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها تمنعه من الجري الشَّديد، وتُذلِّل الدَّابَّة لراكبها، حتى تمنعها من الجِماح ، ومنه اشتقاق الحِكْمَة؛ لأنَّها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل.
وأَحْكَمَ الأَمْرَ: أي أَتْقَنَه فاستَحْكَم، ومنعه عن الفساد، أو منعه من الخروج عمَّا يريد.

والحكيم : المتقن للأمور ، يقال للرجل إذا كان حكيما: قد أحكمته التجارب

معنى الحِكْمَة اصطلاحًا:

هي لون من النثر وهي خلاصة نظر معمق إلى الحياة، وما يضطرب فيها من ظواهر، تصدر عن ذوي التجارب الخصبة والعقول الراجحة والأفكار النيرة.. وقائلها حكيم ينظر إلى الأمور نظرة شاملة ويحللها تحليلا دقيقا، ثم يصدر في شأنها حكما يظل سائرا مذكورا يعلق بالأذهان والقلوب. فيجري على الألسن عبر العصور والأزمان لأن الناس يجدون في هذه الحكم هداية وإرشادا وتوجيها إلى ما يعينهم على الفلاح في حياتهم.

وقال النَّووي: (الحِكْمَة، عبارة عن العلم المتَّصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النَّفس، وتحقيق الحقِّ، والعمل به، والصدِّ عن اتِّباع الهوى والباطل، والحَكِيم من له ذلك.

ومن نماذج الحكم عند العرب :

مصارع الرجال تحت بروق الطمع: فيها دعوة إلى القناعة فإن الطمع يقتل صاحبه.
رب ملوم لا ذنب له: دعوة إلى التحقق من الأمر قبل توجيه اللوم للبريء.
أدب المرء خير من ذهبه : معناها أن قيمة الإنسان بأدبه لا بماله.
من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء : معناها (فمن استعان بقوم غير صالحين لم يفلح في عمله ويكون مثله كمثل من يقف الماء في حلقه ، فلا يجد سبيلا إلى إزالة غصته).فهي تدعو الي حسن اختيار الأعوان.

ثالثا : الفرق بين الحكمة والمثل :

الحكمة تلتقي مع المثل في كونهما من **جوامع الكلم** ،إضافة إلى اشتراكهما في بعض وظائفهما كالتوجيه والإرشاد, أما الحكمة من حيث كونها مصطلحاً فهي غير المثل, ولها -من حيث طبيعة كل نوع- ما يميزها عن المثل, فالحكمة تقرر وتقنع فهي تميل إلى الخطابية, والمثل يغمض ويوحي ويخيل, فهو يميل إلى التخييل والشعرية, ودلالة الحكمة مباشرة, ودلالة المثل إيحائية, ووظيفة الحكمة التوجيه, ووظيفة المثل التصوير والتشخيص.

وهناك خاصية أساسية تميز الحكمة عن المثل ،**فلا يكون القول مثلًا إلا إذا شاع واشتهر** وتداوله المجتمع ،فإذا اكتسبت الحكمة هذه الخاصية صارت مثلا ، يقول أبو هلال العسكري :" ثم جعل كل حكمة سائرة مثلا ، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلا "

وأخيرا فإن الأمثال نتاج الناس جميعاً فقد جمعتِ الصحيح وغيرَ الصحيح، وليست الحكمة كذلك ، فإن الحكمة وليدةُ عقل متميز ذي ارتفاع فلا بدّ أن تكون صادقة في كل الأحوال.

مراجع المحاضرة:

النووي (يحي بن شرف) : المنهاج في شرح صحيح مسلم ، بيت الأفكار الدولية ،السعودية .

أبو هلال العسكري : جمهرة الأمثال ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش ،دار الجيل ،بيروت،ط2، 1988 .

شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي،در المعارف ،القاهرة، ط 10.

محمود شكري الألوسي :بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح محمد بهجة الأثري، دار الكتاب المصري.

ابن منظور : لسان العرب .

الفيروز آبادي : القاموس المحيط تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ، ط8، 2005 .

عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية ،دار الفكر ، دمشق سوريا ،ط1، 1988.

محمد بن أبي بكر الرازي: الأمثال والحكم ، تحقيق فيروز حريحري ، تقديم شاكر الفحام ، المشتشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الإيرانية ، دمشق ، 1987.

محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

الميداني (أحمد بن محمد) : مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة ، بيروت.

نوار عبيدي :التركيب في المثل العربي القديم دراسة نحوية للجملة الاسمية ،مطبعة المعارف ،ط 1، 2005.